

الفصل الثالث

نهاية الأزمة

- تنتهي المراهقة بالمرحلة الجامعية.
- ما هي التحديات التي تقابل المراهق ؟
- وكيف يمكن التغلب عليها؟

تنتهي المراهقة بالمرحلة الجامعية

لا شك أن الشاب الجامعي يعيش مرحلة جديدة من حياته تتميز بالعديد من الملامح التي ينبغي لنا إدراكها قبل أن نخوض في هذه المرحلة بكل ما فيها من امتيازات وعقبات.

أولاً: طالب الجامعة يأتي إلى هذه المرحلة وقد اجتاز مرحلة المراهقة بكل ما تحمله من مشكلات. فالشاب المراهق كانت تسيره حماسة وعاطفة جياشة وأحلام يقظة بها الكثير من المؤثرات التي تؤثر على المراهق تأثيراً شديداً. وهاهو الآن يدخل إلى مرحلة جديدة سوف ترسم مستقبله وتحدد معالم حياته بالكامل. فلا ينبغي له أن يتعامل مع حياته على ضوء تلك المعطيات السابقة التي عاشها من قبل.

ثانياً: يعيش الشاب في مرحلته الجديدة تغيراً في عاطفته، فقد كان في السابق يحمل عواطف معينة تتمحور حول دائرة ضيقة، أما الآن فقد صار له العديد من العواطف الاجتماعية والإنسانية في انطلاقه نحو المجتمع المحيط بكل ما به من مشكلات ومشجعات، صار مدركاً واعياً بأهميته في خدمة مجتمعه حيث أنه صار ركيزة هامة يحتاج إليه مجتمعه في خدمة مراحل العمر الأخرى من أطفال ومسنين، بل وفي خدمة إخوته البعيدين في نفس المرحلة التي يمر بها. فالشخص في هذه المرحلة يتخطى اهتمامه بذاته ومحيطه القريب إلى اهتمام بكل ما يخص دينه ووطنه، بل وفي أحيان كثيرة يتطلع إلى المشكلات العالمية بغية أن يكون له رأي فيها.

ثالثاً: يرغب الشاب في هذه المرحلة إلى ترسيخ انتهاءاته على كافة المجالات، وإلى تعميق علاقاته بالمجتمع الذي يحيط به.

رابعاً: يعيش الشاب في هذه الفترة مرحلة خصبة في تفكيره العقلي، وتعتبر هذه الفترة من أخصب مراحل العمر، ولهذا نرى الشاب يتعامل مع تخصصات جديدة وعلوم جديدة فيستطيع اجتيازها.

هي مرحلة تمتاز بالعمق والقدرة على الاستيعاب أكثر من غيرها، هي المرحلة التي يقرأ فيها الشاب كثيراً، وهي التي يستوعب فيها الشاب أكثر. هي مرحلة صار فيها متطلعاً لا يقبل أسلوب التلقين والتلقي، ولكنه يرغب في المشاركة العملية الحية في كل ما يقدم له.

خامساً: هذه المرحلة هي مرحلة التفكير في المستقبل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وتتحكم رؤية الشاب للمستقبل في تحديد مدى هذا التفكير ومساره، ثم ما يترتب على هذا التفكير فيما بعد من رؤية للإعداد للمستقبل وصياغته.

سادساً: لقد انتقل الشاب من المرحلة الثانوية إلى المرحلة الجامعية نقلة بعيدة، كان في المرحلة الثانوية يدرس كتاباً مطبوعاً بالألوان مكون من عناصر وفقرات محددة، مع مساعدة كاملة من مدرس الفصل أو المدرس الخاص. كتاب محدد بصفحاته ثم يتلقى أسئلة الامتحان محددة فيما يدرس، والدراسة الثانوية تعتمد على حفظه المعلومات واستظهارها فيما بعد، أما في الجامعة فالصورة مختلفة كلية، فقد يكون المتوفر مرجعاً أو كتاباً مختلفاً في تنسيقه أو طريقة

عرضة عن الكتب التي اعتاد عليها، وقد يكون الطريق هو الكتابة من وراء الأستاذ في المحاضرة، أو تصوير الأوراق من بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع أو من الزملاء الذين قاموا بالكتابة. ولهذا التغير أثره الكبير في نفسية الطالب، وقد تشعره بالاضطراب إن لم يكن مستعداً لذلك.

سابعاً: كان الشاب في المرحلة السابقة يعيش في مدينته وسط أسرته، ولكن قد تتطلب الحياة الجامعية الانتقال إلى مكان آخر، وأن يتحمل مسؤوليته تحملاً كاملاً. بعد أن كانت الأسرة هي المسؤولة عن ذلك. فهو المسؤول عن إعاشة ذاته، مسؤول عن ضبط مواعيد المحاضرات وتنظيم أوقات الطعام والمذاكرة والميزانية والترفيه... الخ، والأهم من ذلك أن للشباب الجامعي الحرية الكاملة في حضور المحاضرات وعدمه، ولهذا نرى بعض الطلاب قد لا يستطيع أن يحسن استخدام هذه الحرية، فتكثر حالات الحرمان والغياب في المراحل الأولى من الجامعة، ثم يستقر به بعد ذلك المطاف بعد أن يكون قد فقد وقتاً هاماً كان من الممكن أن يساهم في نجاحه وتفوقه.

ويوجد بعض المبادئ الهامة التي ينبغي على المراهق في المرحلة الجامعية اتباعها وهي كما يلي:

- ١- يحتاج المراهق في هذه المرحلة أن يتقبل تخصصه الذي التحق به، فربما كان لديه الرغبة في الالتحاق بكلية أو معهد آخر غير ما التحق به، وبالتالي يحتاج أن يتقبل هذا التخصص الجديد، ويجتهد فيه حتى يبدع فيه فيما بعد، ويستطيع أن يعمل فيه فيما بعد بكل إتقان.

٢- يحتاج أن يعلم طالب الجامعة أنه ليس في السنة الرابعة من المرحلة الثانوية. وإن طالب المرحلة الجامعية يجب أن يسهم في الحصول على المعلومات، وتقييمها ونقدها وتحليلها، وأن تكون لديه القدرة على صياغة أفكار جديدة من خلال معطيات تعطي له سابقاً.

وطالب الجامعة ينبغي أن يكون له دور في فهم الحياة؛ فلا يسوغ أن يكون مجرد إنساناً يعيش في المجتمع ويتطعم بما فيه، ويحمل الأفكار السائدة أياً كانت هذه الأفكار، بل لابد أن يرتقى إلى مرحلة أعلى، فيسهم في فهم الحياة، ويسهم في فهم المجتمع، وفي تقويم الأفكار والعادات والتقاليد التي يراها في المجتمع، وفي الحكم على صحتها وخطئها، ثم يسهم في التغير الإيجابي.

وحين يشارك طالب الجامعة في الأنشطة التي تقدم من خلال الجامعة، أو الأنشطة الأخرى التي يقضيها مع زملائه، فينبغي أن يكون له معها شأن آخر، لقد اعتاد في المرحلة الثانوية أن تقدم له أنشطة في قوالب محددة يسير فيها، ولهذا لا نلومه حين يتهم هذا النشاط بالفشل أو الضعف، ويقف عند هذا الحد دون أن يكون له دور إيجابي.

أما طالب الجامعة فلا بد أن تتغير رؤيته لمثل هذه الأنشطة، لقد كان في السابق لا يزيد على أن يكون مجرد متلق لمثل هذه الأنشطة أو منفذ لها، أما الآن فلا بد أن يسهم في النقد البناء، وأن يسهم في التقويم والإصلاح، ولهذا فليس مما يليق بطالب الجامعة أن ينتقد هذا البرنامج ويقف عند حدود النقد، بل لابد أن يتحمل مسؤوليته في الإصلاح والتقويم.

التحديات التي تقابل المراهق وكيفية التغلب عليها

ما هي التحديات التي تقابل المراهق؟ وكيف يمكن التغلب عليها؟

١- الصراع الداخلي:

حيث يعاني المراهق من وجود عدة صراعات داخلية، ومنها: صراع بين الاستقلال عن الأسرة والاعتماد عليها، وصراع بين مخلفات الطفولة ومتطلبات الرجولة والأنوثة، وصراع بين طموحات المراهق الزائدة وبين تقصيره الواضح في التزاماته، وصراع بين غرائزه الداخلية وبين التقاليد الاجتماعية، والصراع الديني بين ما تعلمه من شعائر ومبادئ ومسلّمات وهو صغير، وبين تفكيره الناقد الجديد وفلسفته الخاصة للحياة، وصراعه الثقافي بين جيله الذي يعيش فيه بما له من آراء وأفكار والجيل السابق.

الحل المقترح لهذه المشكلة:

لمعالجة هذه المشكلة لا تكون إلا بإحلال الحوار الحقيقي بدل التنافر والصراع والاعتراّب المتبادل، ولا بد من تفهم وجهة نظر الأبناء فعلاً لا شكلاً بحيث يشعر المراهق أنه مأخوذ على محمل الجد ومعتز به وبتفردّه - حتى لو لم يكن الأهل موافقين على كل آرائه ومواقفه - وأن له حقاً مشروعاً في أن يصرح بهذه الآراء. الأهم من ذلك أن يجد المراهق لدى الأهل آذاناً صاغية وقلوباً متفتحة من الأعماق، لا مجرد مجاملة، كما ينبغي أن نفسح له المجال ليشق طريقه بنفسه حتى لو أخطأ، فالأخطاء طريق للتعليم، وليختار الأهل الوقت المناسب لبدء الحوار مع

المراهق، بحيث يكونا غير مشغولين، وأن يتحدثا جالسين، جلسة صديقين متآلفين، يبتعدا فيها عن التكلف والتجمل، وليحذرا نبرة التوبيخ، والنهر، والتسفيه..

٢- الاغتراب والتمرد:

فالمراهق يشكو من أن والديه لا يفهمانه، ولذلك يحاول الانسلاخ عن مواقف وثوابت ورغبات الوالدين كوسيلة لتأكيد وإثبات تفردّه وتمايزه، وهذا يستلزم معارضة سلطة الأهل؛ لأنه يعد أي سلطة فوقية أو أي توجيه إنما هو استخفاف لا يطاق بقدراته العقلية التي أصبحت موازية جوهرياً لقدرات الراشد، واستهانة بالروح النقدية المتيقظة لديه، والتي تدفعه إلى تمحيص الأمور كافة، وفقاً لمقاييس المنطق، وبالتالي تظهر لديه سلوكيات التمرد والمكابرة والعناد والتعصب والعدوانية.

الحل المقترح لهذه المشكلة:

إن غياب التوجيه السليم، والمتابعة اليقظة المتزنة، والقُدوة الصحيحة يقود المراهق نحو التمرد، ومن أسباب التمرد أيضاً: عيش المراهق في حالة صراع بين الحنين إلى مرحلة الطفولة المليئة باللعب وبين التطلع إلى مرحلة الرشد التي تكثر فيها المسؤوليات، وكثرة القيود الاجتماعية التي تحد من حركته، وضعف الاهتمام الأسري بمواهبه، وعدم توجيهها الوجهة الصحيحة، وتأنيب الوالدين له أمام إخوته أو أقربائه أو أصدقائه، ومتابعته للأفلام والبرامج التي تدعو إلى التمرد على القيم الدينية والاجتماعية والعنف.

ويرى كل من الدكتور بدر محمد ملك، والدكتورة لطيفة حسين الكندري أن علاج تمرد المراهق يكون بالوسائل التالية: السماح للمراهق بالتعبير عن أفكاره الشخصية، وتوجيهه نحو البرامج الفعالة لتكريس وممارسة مفهوم التسامح والتعايش في محيط الأندية الرياضية والثقافية، وتقوية الوازع الديني من خلال أداء الفرائض الدينية والتزام الصحة الصالحة ومد جسور التواصل والتعاون مع أهل الخبرة، والصالح في المحيط الأسري وخارجه، ولا بد من تكثيف جرعات الثقافة الإسلامية، حيث إن الشريعة الإسلامية تنظم حياة المراهق لا كما يزعم أعداء الإسلام بأنه يكبت الرغبات ويحرم الشهوات، والاشتراك مع المراهق في عمل أنشطة يفضلها، وذلك لتقليص مساحات الاختلاف وتوسيع حقول التوافق وبناء جسور التفاهم، وتشجيع وضع أهداف عائلية مشتركة واتخاذ القرارات بصورة جماعية مقنعة، والسماح للمراهق باستضافة أصدقائه في البيت مع الحرص على التعرف إليهم والجلوس معهم لبعض الوقت، والحذر من البرمجة السلبية، وتجنب عبارات: أنت فاشل، عنيد، متمرد، اسكت يا سليلط اللسان، أنت دائماً تجادل وتنتقد، أنت لا تفهم أبداً... إلخ؛ لأن هذه الكلمات والعبارات تستفز المراهق وتجلب المزيد من المشاكل والمتاعب ولا تحقق المراد من العلاج.

٣. الخجل والانطواء:

فالتدليل الزائد والقسوة الزائدة يؤديان إلى شعور المراهق بالاعتماد على الآخرين في حل مشكلاته، لكن طبيعة المرحلة تتطلب منه أن يستقل عن الأسرة

ويعتمد على نفسه، فتزداد حدة الصراع لديه، ويلجأ إلى الانسحاب من العالم الاجتماعي والانتواء والخجل.

الحل المقترح لهذه المشكلة:

إن أسباب الخجل والانتواء عند المراهق متعددة، وأهمها: عجزه عن مواجهة مشكلات المرحلة، وأسلوب التنشئة الاجتماعية الذي ينشأ عليه، فالتدليل الزائد والقسوة الزائدة يؤديان إلى شعوره بالاعتماد على الآخرين في حل مشكلاته، لكن طبيعة المرحلة تتطلب منه أن يستقل عن الأسرة ويعتمد على نفسه، فيحدث صراع لديه، ويلجأ إلى الانسحاب من العالم الاجتماعي، والانتواء والخجل عند التحدث مع الآخرين.

ولعلاج هذه المشكلة ينصح بتوجيه المراهق بصورة دائمة وغير مباشرة، وإعطاء مساحة كبيرة للنقاش والحوار معه، والتسامح معه في بعض المواقف الاجتماعية، وتشجيعه على التحدث والحوار بطلاقة مع الآخرين، وتعزيز ثقته بنفسه.

٣ السلوك المزعج:

والذي يسببه رغبة المراهق في تحقيق مقاصده الخاصة دون اعتبار للمصلحة العامة، وبالتالي قد يصرخ، يشتم، يسرق، يركل الصغار ويتصارع مع الكبار، يتلف الممتلكات، يجادل في أمور تافهة، يتورط في المشاكل، يخرق حق الاستئذان، ولا يهتم بمشاعر غيره.

الحل المقترح لهذه المشكلة:

من أهم أسباب السلوك المزعج عند المراهق: رغبته في تحقيق مقاصده الخاصة دون اعتبار للمصلحة العامة، والأفكار الخاطئة التي تصل لذهنه من أن المراهق هو الشخص القوي الشجاع، وهو الذي يصرع الآخرين ويأخذ حقوقه بيده لا بالحسنى، وأيضاً الإحباط والحرمان والقهر الذي يعيشه داخل الأسرة، وتقليد الآخرين والافتداء بسلوكهم الفوضوي، والتعثر الدراسي، ومصاحبة أقران السوء.

أما مظاهر السلوك المزعج، فهي: نشاط حركي زائد يغلب عليه الاضطراب والسلوكيات المرتجلة، واشتداد نزعة الاستقلال والتطلع إلى القيادة، وتعبير المراهق عن نفسه وأحاسيسه ورغباته بطرق غير لائقة (الصراخ، الشتم، السرقة، القسوة، الجدل العقيم، التورط في المشاكل، والضجر السريع، والتأفف من الاحتكاك بالناس، وتبرير التصرفات بأسباب واهية، والنفور من النصيح، والتمادي في العناد).

أما مدخل العلاج فهو تبصير المراهق بعظمة المسؤوليات التي تقع على كاهله وكيفية الوفاء بالأمانات، واشتغاله بالخير والأعمال المثمرة البناءة، وتصويب المفاهيم الخاطئة في ذهنه، ونفي العلاقة المزعومة بين الاستقلالية والتعدي على الغير، وتشجيعه على مصاحبة الجيدين من الأصدقاء ممن لا يحبون أن يمدوا يد الإساءة للآخرين، وإرشاده لبعض الطرق لحل الأزمات ومواجهة عدوان

الآخرين بحكمة، وتعزيز المبادرات الإيجابية إذا بادر إلى القيام بسلوك إيجابي يدل على احترامه للآخرين من خلال المدح والثناء، والابتعاد عن الألفاظ الاستفزازية والبرمجة السلبية وتجنب التوبيخ قدر المستطاع.

٥. العصبية وحدة والطباع:

فالمراهق يتصرف من خلال عصبية وعناده، يريد أن يحقق مطالبه بالقوة والعنف الزائد، ويكون متوتراً بشكل يسبب إزعاجاً كبيراً للمحيطين به.

الحل المقترح لهذه المشكلة:

يرى الدكتور عبد العزيز محمد الحر، أن لعصبية المراهق أسباباً كثيرة، منها: أسباب مرتبطة بالتكوين الموروث في الشخصية، وفي هذه الحالة يكون أحد الوالدين عصبياً فعلاً، ومنها: أسباب بيئية، مثل: نشأة المراهق في جو تربوي مشحون بالعصبية والسلوك المشاكس الغضوب.

كما أن الحديث مع المراهقين بفظاظة وعدوانية، والتصرف معهم بعنف، يؤدي بهم إلى أن يتصرفوا ويتكلموا بالطريقة نفسها، بل قد يتبادوا للأشد منها تأثيراً، فالمراهقون يتعلمون العصبية في معظم الحالات من الوالدين أو المحيطين بهم، كما أن تشدد الأهل معهم بشكل مفرط، ومطالبتهم بما يفوق طاقاتهم وقدراتهم من التصرفات والسلوكيات، يجعلهم عاجزين عن الاستجابة لتلك الطلبات، والنتيجة إحساس هؤلاء المراهقين بأن عدواناً يمارس عليهم، يؤدي إلى توترهم وعصبيتهم، ويدفعهم ذلك إلى عدوانية السلوك الذي يعبرون عنه في صورته الأولية بالعصبية، فالتشدد المفرط هذا يحولهم إلى عصبيين، وتمردين.

وهناك أسباب أخرى لعصبية المراهقين كضيق المنزل، وعدم توافر أماكن للهو، وممارسة أنشطة ذهنية أو جسدية، وإهمال حاجتهم الحقيقية للاسترخاء والراحة لبعض الوقت.

ويرى الدكتور الحر أن علاج عصبية المراهق يكون من خلال الشعور بالأمان، والحب، والعدل، والاستقلالية، والحزم، فلا بد للمراهق من الشعور بالأمان في المنزل.. الأمان من مخاوف التفكك الأسري، والأمان من الفشل في الدراسة، والأمر الآخر هو الحب فكلما زاد الحب للأبناء زادت فرصة تفاهم معهم، فيجب ألا نركز في حديثنا معهم على التهديد والعقاب، والعدل في التعامل مع الأبناء ضروري؛ لأن السلوك التفاضلي نحوهم يوجد أرضاً خصبة للعصبية، فالعصبية ردة فعل لأمر آخر وليست المشكلة نفسها، والاستقلالية مهمة، فلا بد من تخفيف السلطة الأبوية عن الأبناء وإعطائهم الثقة بأنفسهم بدرجة أكبر مع المراقبة والمتابعة عن بعد، فالاستقلالية شعور محبب لدى الأبناء خصوصاً في هذه السن، ولا بد من الحزم مع المراهق، فيجب ألا يترك لفعل ما يريد بالطريقة التي يريد بها وفي الوقت الذي يريده ومع من يريد، وإنما يجب أن يعي أن مثل ما له من حقوق، فإن عليه واجبات يجب أن يؤديها، وأن مثل ما له من حرية فلآخرين حريات يجب أن يحترمها.